قسم اللغة والأدب العربي _جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (مدارس لسانية) سنة ثانية ليسانس، تخصص: دراسات نقدية

إعداد الأستاذة: هندة كبوسي

عنـــوان المحاضرة: النظرية السياقية

المدرسة السياقية:

لا تشتمل المدرسة السياقية أو مدرسة لندن الدراسات اللغوية التي ازدهرت في لندن فحسب، بل كل الدراسات اللغوية التي ظهرت في أماكن أخرى من المملكة المتّحدة لكونها تحمل طابعا خاصا، وتتّبع منهجا متميّزا، وبشكل عام، يفضل علماء بريطانيا الأشياء العملية التطبيقية على الأشياء النظرية، ولم يدرسوا اللغات لذاتها، بل لما تذريه من منفعة عاجلة، وقد اعتمد لسانيّو المدرسة السياقية (مدرسة لندن) على كثير من المعطيات اللغوية الغربية عنهم، والمتمثلة في اللغات الشرقية والإفريقية المنتشرة على الإمبراطورية البريطانية، وهذا ما يزيد –حسب رأيهم– في الموضوعية العلمية، ويزيل الاستنتاجات المبنيّة على الأفكار المسبقة التي قد يحملها بعض اللسانيين عن لغاتهم.

أمّا الرجل الذي أحدث لأول مرّة تغييرا جذريّا في التنظير اللساني البريطاني فهو عالم اللسانيات الإنجليزي الشهير: جون فيرث (John Firth)[1]، وتجدر الإشارة إلى أنّ فيرث تأثّر تأثرا شديدا بالأنثروبولوجيا مما جعله يركّز على دراسة المكوّن الاجتماعي في دراسة مختلف اللغات البشرية، والحقيقة فإنّه كان متحمِّسا لدراسة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية منذ الثلاثينات. وأكّد على هذا مرة أخرى قبل موته سنة 1960م بقوله: "إنّ اللغة ينبغي أن تُدرس بوصفها جزءًا من المسار الاجتماعي، أي كشكل من أشكال الحياة الإنسانية، وليس كمجموعة من العلامات الاعتباطية أو الإشارات، وبما أنّ استعمال اللغة هو الوسيلة الوحيدة التي تساعد على فهم المعاني المتعدّدة، فإنّ فيرث قام بدراسة مكوّنات اللغة وفق مكوّنات اجتماعية بحتة، بالتّركيز على العلاقات المختلفة التي تربط اللغة بالمجتمع.

عُرف عن الدراسات اللسانية البنوية أنها كانت في أولى مراحلها تهمل السيّاق، والمقام وتعدّهما شيئا خارجا عن مكوّناتها، والحق أنّ الذي أولع إيلاعا كبيرا بالسيّاق في الثقافة اللسانية المعاصرة هو الباحث الإنجليزي فيرث Firth الذي ارتبط اسمه بما يسمى بالنظرية السياقية.

1- اهتم فيرثي بالصوتيات الوظيفيّة وعلم الدلالة خاصة أو ما يعرف بالنظرية السياقية، وتقوم على إعادة الاهتمام بالأحوال والمحيط الذي يتضمن الأحداث الكلامية (سياق الموقف)، كما يرى أنّ الترجمة الحرفية للكلام تفقده وظيفته الأساسية (التواصل بين البشر).

والغرض المنهجي لأنصار النظرية السياقية في مسألة اهتمامهم بمفهوم سياق المقام، فيتجلّى في اعتمادهم على المقولة التي ترى أنّه يجب لتحديد وحدة لغوية أن نتتبّع ونستقرئ جميع السياقات التي تحقّقت فيها، يرى ستيفن أولمان –تأكيدا لهذا المعنى– أنّ علم المعاجم عليه، ابتداء، ملاحظة كل كلمة داخل سياقها؛ أي دراسة الكلمات في نطاق الكلام، وبعد ذلك عليه انطلاقا من تلك الاستعمالات الملموسة انتزاع أكبر قاسم مشترك وتسجيله بصفته دلالة (أو دلالات) الكلمة.

إنّ أهم ما يمكن ملاحظته في هذا الكلام أنّ الأساس المنهجي للنظرية السياقية يقوم على مواقف صورية صارمة في تطبيقها لمبادئ التحليل البنوي على الرغم من أنّها تلجأ إلى مفهوم ينتمي إلى الواقع الخارج عن المدى اللغوي، إذ إنّ غرض النظرية السياقية من استدعاء السياق، في النهاية هو الاستعانة بمعطيات غير لغوية ملموسة تساعد على تصنيف الوحدات اللغوية وتحليل دلالاتها بكيفية نموذجية.

السياق ينقسم حسب هذه المدرسة إلى:

1–السياق اللغوي: يرى فيرث أنه يمكن دراسة المعنى الشكلي على مستوى التتابعات، والتّتابع على حد تعبيره هو اقتران مألوف ومميّز لمفردات النصوص، كاقتران كلمة (بقرة) بالفعل "يحلب"، إذ إنّ جزءًا من معنى (البقر) يتجلّى من خلال هذه التتابعات مثل: هم يحلبون البقر وتنتج البقرة حليبا. وهكذا يبدو أن هناك معادلة بين معنى الكلمة ومجموعة السياقات اللفظية التي ترد فيها، فكلمة (الطيور) يمكن أن تملأ الفراغ في الجمل الآتية:

تبني.... أعشاشها، وترفرف.... صباحا، وتفرّخ..... في فصل الصيف، وبالفعل فإنّ وقوع هذه الكلمة في هذه السياقات المختلفة يبيّن بوضوح معناها اللغوي.

مثال ثان: (يد الفأس، مقبضها)، (يد الريح، سلطانها)، (يد الطائر، جناحه).

فالكلمات التي يتكّون منها التّركيب الذي وردت فيه كلمة يدهي التي أسهمت في تحديد معناها، وأدّت إلى اختلاف هذا المعنى من تركيب إلى آخر.

2-سياق الموقف: ويتمثل في العلاقات بين وحدات اللغة وتلك العناصر الخارجة عن اللغة في المواقف التي تتوسّط فيها اللغة بين أفراد مشاركين في موقف اجتماعي معيّن. وليست الوحدات المفرداتية والنحوية فقط هي التي لها معان موقفية، بل السمات الفونولوجية والفونيتيكية، وحتى الإملائية قد يكون لها معنى موقفي معيّن. فكلمة سلوك قد تكتب كما في اللغة الانجليزية behavior أو behaviour وتكتسب معنى موقفيا قد يكون كاتبا أو قارئا أو محرّرا أو ناشرا. والكلمة المكتوبة بـ our تدلّ على أنّ مستعملها شخص بريطاني سواء كان كاتبا أو قارئا أو غير ذلك. وبمعنى آخر فإنّ هناك إنجليزية بريطانية وإنجليزية أمريكية، وكلتاهما تستعمل في مواقف سياقية اجتماعية مختلفة.

مثال 02: استعمال كلمة عين في مواقف تواصلية مختلفة، فينتج عن كل استعمال معنى يختلف عن المعنى الآخر، فهي العين الجاسوسة، وعين الشيء نفسه، والعين مصبّ الماء...

3-السياق الثقافي: وهو المحيط الثقافي الذي يمكن أن نستخدم فيه الكلمة؛ فالكلمة الواحدة قد تكتسب معانٍ مختلفة باختلاف السياقات الثقافية، مثل كلمة "جذر" لها معنى عند المزارع، ومعنى ثانٍ عند اللغوي، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات...

4-السياق العاطفي: وهو الذي يحدّد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة، فكلمة يكره غير كلمة يبغض رغم اشتراكهما في أصل المعنى. فاستعمال الكلمات يرتبط ارتباطا وثيقا بالحالة النفسية للمتكلم، وهو ما يعكس العلاقة القوية بين اللغة والجانب النفسي العاطفي لمستعمل اللغة.